

مناهل العرفان في علوم القرآن

ومثال تأويل أهل الطامات قول بعضهم في تأويل قوله تعالى اذهبا إلى فرعون إنه طغى إنه إشارة إلى قلبه وقال هو المراد بفرعون وهو الطاغى على كل إنسان وفي قوله تعالى وأن ألق عصاك أي كل ما يتوكأ عليه ويعتمده مما سوى الله فينبغي أن يلقيه وفي قوله تسحروا فإن في السحور بركة أراد به الاستغفار في الأسحار وأمثال ذلك حتى ليحرفون القرآن من أوله إلى آخره عن ظاهره وعن تفسيره المنقول عن ابن عباس وسائر العلماء وبعض هذه التأويلات يعلم بطلانها قطعاً كتنازل فرعون على القلب فإن فرعون شخص محسوس تواتر إلينا النقل بوجوده ودعوة موسى له كأبي جهل وأبي لهب وغيرهما من الكفار وليس من جنس الشياطين والملائكة مما لم يدرك بالحس حتى يتطرق التأويل إلى ألفاظه وكذلك حمل السحور على الاستغفار فإنه كان يتناول الطعام ويقول تسحروا وهلموا إلى الغذاء المبارك فهذه أمور يدرك بالتواتر والحس بطلانها نقلاً وبعضها يعلم بغالب الظن وذلك في أمور لا يتعلق بها الإحساس فكل ذلك حرام وضلالة وإفساد للدين على الخلق ولم ينقل شيء من ذلك عن الصحابة ولا عن التابعين ولا عن الحسن البصري مع إكبابه على دعوة الخلق ووعظهم فلا يظهر لقوله من فسر القرآن برأيه فليتنبأ مقعده من النار معنى إلا هذا النمط وهو أن يكون غرضه ورأيه تقرير أمر وتحقيقه فيستجر شهادة القرآن إليه ويحملة عليه من غير أن يشهد لتنازله عليه دلالة لفظية لغوية أو نقلية .

ولا ينبغي أن يفهم منه أنه يجب ألا يفسر القرآن بالاستنباط والفكر فإن من الآيات ما نقل فيها عن الصحابة والمفسرين خمسة معان وستة وسبعة وعلم أن جميعها غير مسموع من النبي فإنها قد تكون متنافية لا تقبل الجمع فيكون ذلك مستنبطاً بحسن الفهم وطول الفكر ولهذا قال لابن عباس B اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل .

ومن يستجير من أهل الطامات مثل هذه التأويلات مع علمه بأنها غير مرادة بالألفاظ ويزعم أنه يقصد بها دعوة الخلق إلى الخالق يضاها من يستجير الاختراع والوضع على رسول لما هو في نفسه حق ولكن لم ينطق به كمن يضع في كل مسألة يراها حقاً حديثاً عن النبي فذلك ظلم وضلال ودخول في الوعيد المفهوم من قوله من كذب علي متعمداً فليتنبأ مقعده من النار بل الشر في تأويل هذه الألفاظ أطم وأعظم لأنه